الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1089 2022/3/29

ملف العدد

العلوم الإنسانية وبناء الوعي

أول الكلام

لماذا لم تثمر عندنا ..؟

▪ ديب علي حسن

الكلمة فعل بناء والبناء ليس مادياً فقط، بل هو متكامل معنوياً ومادياً، جناحان يجب أن يكونا معاً لجسد واحد على ألا يغلب أحدهما الآخر..

نعني بذلك العلوم التطبيقية التي هي أساس بناء الحضارة والعلوم الإنسانية التي هي حاملة القيم وبناء الوعي المعرفي.

العلوم الإنسانية التي تشكل أساس الفكر المنقذ في العالم كله محط اهتمام ومتابعة في التربية والاجتماع والفلسفة وعلم النفس.

وهي تشكل الحامل الأساس لدور المثقف في نشر الوعي، وبناء القيم وصون مسيرة البشرية، وربما علينا أن نذكر أن العالم ليس بالضرورة مثقفاً وإن كان قد بلغ الذرا في علومه.

وكما يقول سارتر..إن العالم النووي لن يكون حاملاً صفة مثقف إلا إذا اتخذ موقفاً واضحاً وأعلن مثلاً أن الذرة سلاح ذو حدين ..

وعلينا أن نكون في الجانب الإيجابي منها، ويجب أن يدافع عن ذلك..

من هنا يجب أن نذكر أن الغرب بكل ما قام به من رحلات واستكشاف كان يدرسنا اجتماعياً ونفسياً من خلال عاداتنا وتقاليدنا وعلومنا وآدابنا وقد استطاع أن يصل إلى ما يريد.

وفي الولايات المتحدة الأميركية بلد الصناعات التقنية تحتل العلوم الإنسانية كما في الغرب المرتبة العليا ولا سيما في نظريات التربية وعلم النفس والاجتماع والإعلام.

هل نذكر بعالم النفس السلوكي سكينر وكتابه الأشهر (تكنولوجيا السلوك الإنساني) وفيه نظريته في هندسة بناء الإنسان، بل تدجينه كما يقول إذ صرح ذات مرة قائلا : قل لي أي شعب داجن تريد ..حتى أعده لك؟.

طبعاً هذا في الجانب الآخر من الاستلاب ..ولكن ماذا عن الدور الآخر في بناء الوعي؟.

هذا ما نسأل عنه ونبحث فيه ..وربما السؤال المر: لماذا لم تثمر هذه العلوم في مجتمعاتنا؟.

ملف نطرحه لعل البحث فيه يفتح آفاقاً من جديد؟.

هندسة الإنسان

التحكم الخفي بالدوافع

الكلمة

دوستويفسكي ومحبّة الشعب

حمص تحتفي بالفن التشكيلي

تعد الحركة التشكيلية في سورية رائدة ليس على مستوى المنطقة والوطن العربي إنما العالم .
وهنا يمكن الإشارة إلى العديد من الفنانين السوريين الذين حازوا الصفة العالمية وتم اقتناء لوحاتهم في دول كثيرة .
ومازالت هذه النهضة التشكيلية ترفد الفن بالكثير ومن المعروف أن المعارض تشكّل الأرض الخصبة للعطاء التشكيلي من هنا يأتي الاحتفاء بالفن التشكيلي السوري المعاصر والتراث الحضاري هو العنوان الأبرز لمهرجان (سورية بتجمعنا) بنسخته الثالثة الذي احتضنت فعالياته جامعة الوادي الدولية في وادي النضارة بحمص.
وضمّ المهرجان الذي ينظمه فريق مدى الثقافي بالتعاون مع جامعة الوادي وفرع الاتحاد الوطني لطلبة سورية في الجامعة بمناسبة عيدي الأم والمعلم معرضاً تشكيلياً جماعياً شارك فيه ٥٤ فناناً من مختلف المحافظات.
وفي تصريح رامز الحسين مدير فريق مدى الثقافي بحمص قال : المعرض نوعي لأنه جمع فنانين من مختلف الأعمار والمدارس التشكيلية مبيناً أنه من المقرر أن يجول المهرجان مختلف المحافظات كجزء من رسالته في الإضاءة على التاريخ السوري الحضاري.
من جهته أشار الدكتور بشير الياس رئيس جامعة الوادي إلى أهمية المهرجان في الإضاءة على ما تختزنه سورية من الثقافة والفن لتكريس هذه المسيرة الحضارية في مواجهة الظروف الراهنة.
طارق كاخيا رئيس فرع اتحاد الطلبة في الجامعة اعتبر المهرجان فرصة للاحتفال بعيدي الأم والمعلم مشيراً إلى فكر ومبادئ الاتحاد التي يتم العمل عليها لربط الجامعة بالمجتمع و تأهيل الكوادر الطلابية وتعزيز مواهبها حتى تكون شخصيات فاعلة منتجة في المجتمع.
الفنان التشكيلي عدنان المحمد الذي تمّ تكريمه في المهرجان شارك في المعرض بلوحتين زيتيتين الأولى عن الباحث التاريخي ملاتيوس جعنون والثانية عن منطقة بستان الديوان في حمص القديمة.
وشارك التشكيلي رزق الله حداد بعملين مختلفين كان أحدهما لوحة تمثل الوجه الآخر للمرأة وما تحمله من معاناة وتعب والآخر منحوتة صنعت من الخشب وعجينة الرمل سماها :(حريق في المدينة) تمثل امرأة بحالة ألم داخلي مع حريق على الوجه الثاني يلتهم أرجاء المدينة فيما يبزغ الأمل من جذور شجرة تحمل براعم جديدة.
أما الفنانة التشكيلية سميرة مدور فشاركت بلوحة عن الطبيعة الساحرة التي تمنح الأمل والتفاؤل بالحياة من وجهة نظرها استمدتها من جمال المكان الذي يحتضن المعرض.
وعزت الفنانة التشكيلية ايمان الحسن سبب الحضور البارز للمرأة في لوحات المعرض لكونها قادرة على البناء وتحويل الضعف إلى قوة رغم شفافيتها وهشاشتها الظاهرة لنفض غبار الحزن والحروب.
كما تضمنت فعاليات المهرجان محاضرة تاريخية بعنوان :إضاءات على تاريخ سورية الحضاري تحدث فيها الباحث الدكتور علي صقر أحمد عن احتضان سورية لأولى تباشير الحضارة والتمدن منذ التاريخ الغابر وأهم المعالم الحضارية التي أنتجتها من اختراع الكتابة والرقم الكتابية وألواح اوغاريت التي احتوت أول أبجدية في تاريخ العالم.
واختتم المهرجان بحفل موسيقي لفرقة مدى قدّمت فيه مجموعة من الأغاني الطربية.
يذكر أن مهرجان:(سورية بتجمعنا) لفريق مدى الثقافي انطلق عام ٢٠١٦ عبر معرض فني بدمشق وانتقل إلى عدة محافظات ضم ٨٠ فناناً سورياً وعربياً وأقيم المعرض بنسخته الثانية عام ٢٠١٩ حيث جال خمس مدن سورية على مدى عامين.

ندوة

في ذكرى الفنان الراحل فداء منصور

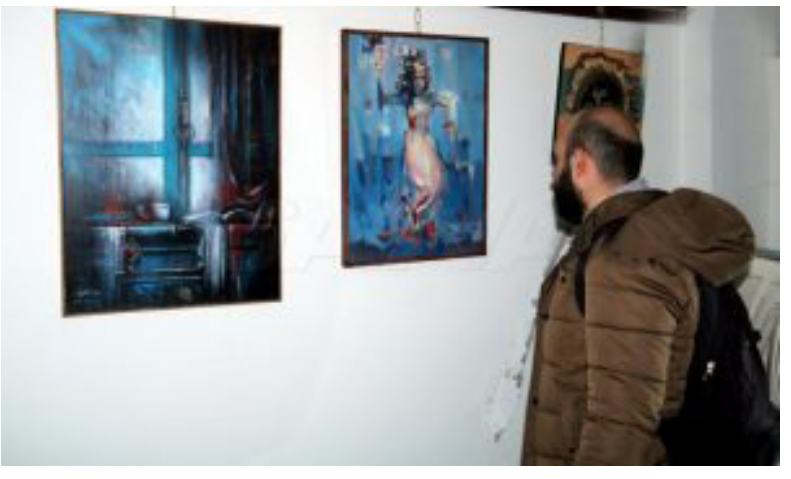

الفنان التشكيلي الراحل فداء منصور كان محور الاحتفالية التشكيلية التي أقامتها جمعية العاديات في اللاذقية مترافقة بندوة مفتوحة حول حياة هذا الفنان وأعماله التشكيلية ومعرض جماعي لنخبة من الفنانين في المحافظة.
واستعرضت الندوة بعض أعمال الفنان منصور وأهمها جدارية سور السفارة الصينية بدمشق التي بلغ طولها ٥٠ متراً وبعرض مترين، وجسدت التعاون والترابط والصداقة بين البلدين إضافة إلى لوحات عديدة رسمها من الأحرف الأوغاريتية والخلق وقابيل وهابيل والصياد والجوكندا وطفولة وحرب وانفجار كوني وغيرها الكثير من الأعمال بمجموع لوني منسجم حسي واقعي جسد حالة الهدوء والسكينة والصفاء لدى الفنان الراحل.
وقدم الباحث والفنان التشكيلي حسين صقور إضاءة على شخصية الفنان الراحل الذي كان يتمتع بطبيعة تأملية تسعى لرسم فلسفتها الخاصة وتحديد موقفها في الحياة بقدر ما يحمله قلبه الحاني من رغبات عبر ألوانه وأشكاله وخطوطه ومنحنياته وبرز بعشقه الموغل للفن.
وفي حديث مع زوجة الراحل باسمة أركك أوضحت أن فداء عاش للفن فكان متنفسه وهو صاحب حس مرهف رهن وقته لخدمة الإبداع، فظل شغفه بالحياة أن يترك بصمة في عالم التشكيل وأتقن الرسم بكل المدارس الفنية من الواقعي إلى الكلاسيكي فالانطباعي والتجريدي إلى أن وصل إلى التجربة الدائرية.
مسيرة الفنانة التشكيلية ليلى نصير صاحبة التجربة الكبيرة كانت حاضرة بدورها خلال الندوة ولا سيما تركيزها في الرسم بالمقاهي وبين الناس وعلى أرصفة الطرقات حتى أصبح الفن غايتها وكفايتها وبحجم ألمها وتطلعاتها مع الإشارة إلى اعتمادها على الألوان السائلة والزيت إلى جوار الباستيل.
وتضمن المعرض الذي أقيم على هامش الندوة مشاركة لفنانين تشكيليين قدموا ٢٦ لوحة فنية و٤ أعمال نحتية من مدارس إبداعية متعددة كتحية حب وتقدير إلى مسيرة الراحل.

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
أمين التحرير
محمود ديبو
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي
ثائر زين الدين
خلود شحادة
سلام الفاضل
سلمى حداد
غسان ونوس
فاتن دعبول
رنا سلوم
كمال سحيم
ناظم مهنا

هندسة السلوك الإنساني

عالم النفس سكينر

منذ أن بدأت مدارس الفكر الغربي ولا سيما في الولايات المتحدة تكتشف أهمية تعديل السلوك الإنساني من خلال العلوم التربوية والنفسية، وهي تضخ وتجرب المزيد من المدارس التي حولت العلوم الإنسانية من الجانب المضيء إلى الآخر السلبي الذي يسعى للتحكم بالإنسان وتعديل سلوكه كما ترغب المؤسسات الاستعمارية التي تريده شعباً داجناً يمكن التحكم به بكل الاتجاهات.

وهنا يبرز دور جون ديوي وسكينر لاسيما في كتابه تكنولوجيا الإنساني وهو مترجم إلى العربية.

سكينر يدعو إلى تصميم الإنسان من خلال التربية وعلم النفس كما لو كان آلة صماء...

إنسان تحت الطلب ...ولكن طلب الفكر الاستعماري ...فماذا تقول نظرية سكينر..هنا بعض الإضاءات عليها.

(بورهوس فريدريك سكينر ليس فقط أحد أهم الشخصيات التاريخية في علم النفس.. هي، في كثير من النواحي، مسؤولة عن تأكيدها كعلم.

إن مساهماته في هذا المجال ليست منهجية فحسب، بل هي أيضاً فلسفية وسلوكيته الراديكالية، على الرغم من عدم كونه أقل هيمنة في الوقت الحالي، يسمح، من بين أشياء أخرى، بأنه في النصف الثاني من القرن العشرين أداة مفيدة مثل العلاج المعرفي السلوكي، مستوحى جداً من هذا الباحث.. دعونا نرى ما هي المفاتيح الرئيسية لنظرية B. F. سكينر.

عندما بدأ ب. ف. سكينر دراساته، كانت السلوكية تعتمد بشكل أساسي على التكييف البسيط الموروث من عالم الفيزيولوجيا الروسي إيفان بافلوف.

اقترح هذا النهج الأول لعلم النفس السلوكي تعديل السلوك من خلال عمل محفزات ممتعة أو غير سارة تم تقديمها في نفس الوقت مثل المحفزات الأخرى التي كان الفرد يريد تطوير كرهها أو سعادته.. أنا أقول «الأفراد» وليس «الأشخاص» لأن التكييف البسيط كان بدائياً لدرجة أنه كان يعمل حتى مع أشكال الحياة مع نظام عصبي بسيط مثل الزواحف أو الرخويات.

على سبيل المثال، في التجارب الشهيرة للكلاب بافلوف، جعل عالم الفسيولوجيا هذه الحيوانات تبدأ في إفراز اللعاب عند سماع صوت معين، لأن هذا قد ارتبط مع الطعام في التجارب السابقة.. كان مفتاح التكييف البسيط هو ربط المنبهات مع بعضها البعض.

اعترف سكينر بأن التكييف البسيط قد يكون مفيدًا في بعض الحالات، لكنه استبعد احتمال أن يتم شرح السلوك فقط من خلال هذه الآلية، من بين أمور أخرى لأن ظروف حدوثه نادراً ما تُعطى خارج المختبر.. ومع ذلك، نعم كان يعتقد أن سلوكنا (وسلوك أشكال الحياة الأخرى) يمكن فهمه على أنه عملية تكيف مع تجارب ممتعة وغير سارة، مفيدة وغير مفيدة.

كان التغيير الذي تنطوي عليه نظرية BF Skinner بمعنى آخر: بدلاً من التركيز على الطريقة التي ترتبط بها المنبهات مع بعضها، ركز على الطريقة التي ترتبط بها الإجراءات التي يتم تنفيذها والإجراءات المرتبطة بها.. عواقب هذه الإجراءات.. ما يحدث لنا بسبب شيء فعلناه هو، في حد ذاته، حافز نلاحظه.. وبالتالي، يأخذ سكينر في الاعتبار حلقة الإدراك التصوري والإدراكي.

بالنسبة إلى سكينر، كان التعلم من عواقب الطريقة التي يتفاعل بها مع العالم الآلية الرئيسية لتعديل السلوك.. يقوم كل من البشر والحيوانات دائماً بجميع أنواع الإجراءات، مهما كانت ضئيلة، وهذه دائماً ما تكون لها عواقب بالنسبة لنا، والتي نتلقاها في شكل محفزات.. هذه العلاقة بين ما نقوم به وما نلاحظه هي عواقب أفعالنا هي أساس التكييف الفعال، المعروف أيضاً باسم التكييف الفعال، والذي وفقاً لسكينر كان الشكل الأساسي للتعلم في جزء كبير من أشكال الحياة.

لكن أن تكون آليات التكييف النشط هي نفسها في أنواع كثيرة من الكائنات الحية لا يعني أن المحتويات التي يتم إنتاجها عليها يجب أن تكون هي نفسها بغض النظر عما إذا كنا فأراً أو إنسانًا.. يمتلك أعضاء من جنسنا القدرة على خلق مفاهيم مجردة وتوليد ذاكرة السيرة الذاتية، ولكن بالنسبة إلى سكينر، كان ظهور هذه الأشكال الدقيقة من التفكير هو قمة هرم العملية التي بدأت بالتعلم من نجاحاتنا وأخطائنا في الوقت الفعلي.

بالإضافة إلى ذلك، كانت المنهجية المستخدمة من قبل علماء النفس السلوكي تستند إلى نماذج حيوانية (التجريب مع الفئران والحمام وما إلى ذلك)، والتي بطريقة ما هي قيد.

الصندوق الأسود وسكينر

لطالما اشتهر علماء السلوك بتصورهم للعمليات العقلية كظواهر تحدث داخل «الصندوق الأسود» ، وهو استعارة تستخدم للإشارة إلى استحالة مراقبة ما يحدث في عقول الناس من الخارج.. لكن، لم يكن الصندوق الأسود لنظرية سكينر هو نفسه النظريين الأوائل في علم السلوك.. بينما نفى علماء النفس مثل جون ب. واتسون وجود عالم عقلي، يعتقد سكينر أن دراسة العمليات العقلية يمكن أن تكون مفيدة في علم النفس.

العلوم الإنسانية وتعزيز الهوية الوطنية

لقاءات: خلود حكمت شحادة

الهوية الوطنية هي الخصائص والسمات التي تتميز بها كل دولة وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، ودونها تفقد الأمم كل معاني وجودها واستقرارها، وهناك عناصر للهوية الوطنيّة لا بد من توفرها تختلف من أمّة لأخرى.

وللوعي بالهوية الوطنية والالتزام بها آثار عظيمة تنعكس على الفرد والمجتمع والوطن بشكل عام.

للوقوف على مفهوم الهوية الوطنية وعلاقتها بالعلوم الإنسانية كان للملحق الثقافي جولة ولقاءات مع أساتذة في العلوم الإنسانية من اختصاصات مختلفة للايضاح والشرح عن تلك العلاقة بين الدراسة والهوية.

د.عدنان أحمد مسلم من جامعة دمشق قسم علم الاجتماع:تعزز القيم

حدثنا بداية عن ميادين العلوم الإنسانية بشكل عام قائلاً: تشمل العلوم الإنسانية الانتربولوحيا والتاريخ والجغرافية واللغات وعلم النفس والتربية وعلم الاجتماع الذي هو من اختصاصي، وهذا ما سأتحدث عنه فيما يخص موضوع الولاء والانتماء والهوية الوطنية، وهذه المفاهيم تتجسد فكرياً في ميدان معرفي مهم جداً في مجال العلوم الإنسانية كافة وعلم الاجتماع بشكل خاص، حيث نقوم في هذا القسم بتدريس ميادين متعددة منها الظاهرة الاقتصادية والسياسية والتربوية والأسرية والدينية ضمن إطار المجتمع، وأهم ميدان يتعلق بالانتماء والولاء الوطني والقومي هو علم الاجتماع السياسي من خلال التنشئة السياسية والتي هي جزء من التنشئة الاجتماعية وتجسد قضية الوطن والانتماء بالبعد القومي.

وتابع مسلم موضحاً الظواهر الأخرى المرتبطة بالناحية السياسية تجسد موضوعات قيم، وإذا أردنا الحديث بموضوع التنشئة السياسية علينا التطرق إلى الانتماء وكيفية تجسيده من خلال منظومتين فكريتين؛ الأولى تتعلق بمفهوم القيم بشكل عام، والثانية تتعلق بالمؤسسات بشكل عام.

أما موضوع القيم فيتجلى عندما ننشء أبناءنا تنشئة اجتماعية على حب الوطن وتقدير رمز العلم والنشيد الوطني والبزة العسكرية ودورها في حماية الوطن نكون بذلك قدمنا التنشئة الاجتماعية والسياسية بنفس الوقت، وبالتالي عند التركيز على هذه القيم نجسد حب الوطن ونعزز الانتماء والتقدير والمكانة هذا كله ضمن منظومة قيمية لذلك نرى العلوم الإنسانية تتدخل في تعزيز الانتماء من خلال الميدان المعرفي، وهذا لايتعلق فقط فقط بعلم الاجتماع بل يدخل في ميادين علم النفس والتربية، وهذا دليل واضح على أن العلوم الإنسانية كافة تعزز موضوع القيم الوطنية التي هي جزء لا يتجزأ من تجسيد الانتماء للوطن وحمايته.

وتابع مسلم في الموضوع ذاته منوهاً إلى دور علم الاجتماع الديني كمنظومة قيمية وكونه جزءاً من علم الاجتماع ولما له من دور مهم في الولاء الوطني، فإذا ما كانت الجهات المرتبطة بالجانب الديني الدعوي والتي تدعو إلى حب الوطن والانتماء له وبالتالي هذا ميدان معرفي لذلك علينا ألا نفكر أن الدين هو العلاقة بالله فقط.

من وجهة نظرنا في علم الاجتماع الديني أن القضايا التي تتعلق بالظاهرة الدينية كيف يجسدها المجتمع وكيف تدخل في موضوع الولاء الوطني.

وعن موضوع المؤسسات على اختلافها يدرسها علم الاجتماع السياسي ويخوض في موضوع الأحزاب بشكل عام والثورية بشكل خاص ودراستنا لموضوع الأحزاب في العلوم الإنسانية نكون قد وضحنا مفهوم الحزب كتنظيم بنيوي هيكلي وأفراد ينتمون إليه من خلاله يتجسد ويتعزز موضوع الولاء، وليست الأحزاب وحدها في هذا الإطار هناك المؤسسات على اختلافها والتنظيمات الاجتماعية المدنية سياسية كانت أم اجتماعية أم دينية كلها تعمل على تكريس حب الوطن والانتماء والولاء، وهذه المفاهيم من ضمن استراتيجياتها ومفاهيمها، وهذا دليل واضح على أهمية العلوم الإنسانية في تعزيز الهوية الوطنية.

د.ماجدة حمود :تنمي المعارف

التي أوضحت أهمية اللغة العربية وعلاقتها بالإنسان وتكوين روحه وفكره ونعمل ضمن اختصاصنا في النقد على تأسيس المعرفة النقدية في المرحلة الجامعية لأن بناء الإنسان يبدأ من نقد الذات لينتقل إلى تطوير الذات، ويتم هذا عن طريق العمل على الأعماق النفسية من الداخل والفكر والعقل والروح، والأدب جزء من الروح لذلك نركز في دراستنا في الأدب المقارن على بناء فكر الإنسان وانفتاحه ودراسة صورة الآخر خاصة وقد خرجنا اليوم من أزمة دمرت الإنسان والعلاقات الاجتماعية فعملنا على بناء روح الإنسان ووعيه عن طريق الانفتاح الفكري وهذا مانحتاجه لذلك نركز في الأدب المقارن وفي النقد على البناء الروحي للإنسان.

ومن قسم اللغة العربية حدثنا أيضاً الدكتور عبد الناصر عساف عن العلوم الإنسانية كونها مفهوماً يشمل جملة معارف وعلوم متعددة تفيد في تعزيز الهوية الوطنية والقومية عند المتعلم لأنها تنمي لديه المعارف التي تعزز المفاهيم الثقافية والمعرفية التي تبنى على أساسها الدولة الوطنية والتصور القومي الصحيح، فاللغة العربية تبني عند المتعلم ما يدعو إلى اللحمة الوطنية من أجل بناء نسيج لغوي واحد تقوم عليه الدولة، ويقوم عليه المجتمع بعيداً عن التشتت والتشظي في مسألة الثنائيات أو العامية والتاريخ يسهم في بناء وحدة الدولة وتعزيز اللحمة الوطنية إذا ما استثمر ووظف توظيفاً صحيحاً يمكن أن يفيد في تعزيز اللحمة الوطنية وبناء الدولة واختيار الأشياء البعيدة عن الخلافات ولاسيما السياسية والتي ينبغي أن تستبعد من أجل تحقيق تصور وطني صحيح ولحمة وطنية قوية والإفادة منه في بناء الدولة.

د.عيسى الشماس:منهج تربية

معنى التربية الوطنية وأهمية تعزيزها عند الطلبة باعتبارها قيمة أساسية من منظومة القيم وهي عبارة عَن كل ما يرتبط بها من أفكار وسلوكات مكتسبة ونغرس في نفوس الناشئة من خلال التربية والتعليم سواء بالتربية النظامية أم اللانظامية، والمواطنة كلمة مشتقة من الوطن وهي صفة يكتسبها شخص ينتمي إلى وطن معين ويحمل جنسيته ويتخذه موطناً يعيش فيه ويكوّن الهوية الوطنية بأركانها كافة.

وأضاف شماس: تعد التربية الوطنية الإطار النفسي والاجتماعي الذي تنصهر فيه مشاعر الأفراد وإحساسهم بالانتماء إلى وطنهم بما فيه من تراث تاريخي وثقافي ونظم اجتماعية تحدد حقوق الفرد وواجباته تجاه الآخرين وتجاه وطنه لذلك فالتربية الوطنية تعد الفرد المواطن وتزوده بأسباب المواطنة الفاعلة من حيث الشعور بالانتماء للوطن والإخلاص له والتضحية لأجله.

وتابع شماس: لكي تحقق تربية المواطنة مضموناتها المعرفية الفلسفية والأخلاقية السلوكية يجب أن تبدأ من الأسرة وتمر بمراحل التعليم كافة وصولاً إلى المرحلة الجامعية لتتم دراستها وتعزيزها لدى المتلقي ضمن مناهجه الدراسية وهذا ماتعنى به العلوم الإنسانية وخاصة علم الاجتماع والتربية وعلم النفس واللغة العربية وغيرها من أقسام العلوم الإنسانية.

وفي الختام لابد من التذكير بأن للوطنية تعريفات كثيرة منها مايحمل معنى عاطفياً يرتبط بالمكان الذي يقيم فيه الإنسان ومنها مايحمل معنى فكرياً يرتبط بالثقافة والقيم والعقائد ومنها ما ينطلق من المعنى القانوني الذي يعبر عن حقوق المواطن وواجباته في وطنه، فالوطنية تشكل إطاراً للقيم الإنسانية والأخلاقية وسياجاً لحمايتها وتحصينها من الضياع والتهميش واللامبالاة.

الغوص فيما وراء الدوافع

سلام الفاضل

يقول سقراط: «إن الحكمة الحقيقية التي يمكن أن يحوز عليها كل منا هي عندما يدرك كم هو قليل ما يفهمه في الحياة، وفي ذاته، وفي العالم المحيط به». وإذا اتخذنا هذه المقولة مدخلاً ننشئ عليه كلامنا، فإننا سندرك أن طَرْفنا مهما امتد واسعاً في الأفق، سيظل قاصراً عن إدراك كنه علوم بعينها، أو أساليب فكرية، أو أسس نفسية، أو سوى ذلك ما لم يتلقف كل جديد حولها يمكّنه من تلمس وفهم أبجديتها.

وبإمكان العلوم النفسية غالباً، أن تقدم لنا كثيراً من الأجوبة، عندما يقف إدراكنا عاجزاً عن فهم تصرفات بعينها مورست، أو تمارس في حقنا.. فمن البديهيات التي يمكن أن ترد على بال أشخاص كُثر أن الإنسان يتكوّن عادة من أعضاء حية، ونفس بشرية، وكما تصاب هذه الأعضاء عادة بالعطب، فإن النفس البشرية، ونظراً لممارسات، أو ظروف بعينها قد يتخللها الأذى، وتبعاً لدرجة هذا الأذى، ومقدرة الإنسان التحكم فيه، قد تظهر بعض الاضطرابات النفسية التي قد تتراوح شدّتها في نفوس بعض البشر، فتحكم تصرفاتهم، وردود أفعالهم.. وغالباً ما حفل الأدب بمثل هذه الشخوص التي بنيت على سوداوية دواخلها، أو تضارب أفعالها، أو دناءة استخدامها الآخر خدمة لنوازعها ورغباتها كثير من القصص، والروايات العالمية التي نالت حظوة عند الجمهور.

والتحكّم الخفي بالإنسان هو شكل من أشكال التأثير على الآخرين، والتحكّم بلاوعيهم دون أن يحسوا بذلك، وبصرف النظر عن إرادتهم الشخصية، وبالاعتماد على احتياجات الإنسان، التي صنّفها أ. ماسلوي وفق التصنيفات التالية: (الاحتياجات الفيزيولوجية «طعام، ماء، سكن، راحة،.. إلخ» - الحاجة إلى الأمان - الحاجة إلى الانتماء إلى جماعة ما - الحاجة إلى الاحترام والتقدير - الحاجة إلى تقدير الذات)، يضاف إليها الحاجة إلى الأحاسيس الإيجابية.

ولكن هل من الأخلاق التحكّم بشخص آخر بشكل خارج عن إرادته؟؟ في الجواب عن هذا السؤال ينبغي الاستناد إلى درجة أخلاقية صاحب المبادرة، فإن كان هدفه الحصول على مصلحة شخصية على حساب الضحية، فإن ذلك يسمى تلاعباً، وهو أمر غير أخلاقي بالتأكيد؛ بيد أن التحكم إن كان يخفي خلفه أهدافاً نبيلة كأن يوجّه مثلاً الأب طفله بشكل لطيف ورقيق بعيداً عن الأوامر ليدفعه بشكل غير مباشر إلى العمل في الاتجاه الصحيح، أو في العلاقة المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس، فإن التحكم هنا لا يُعدّ تلاعباً، بل إنه يصون كرامة الآخر ووعيه بحريته الشخصية.. كما أننا قد نرى أشكالاً أخرى من التحكّم الخفي بالآخرين تأتي من خلال الثرثرة بالأفواه، أو عدوى الأقران، أو الإعلانات التجارية، أو غير ذلك.

وكتاب (التحكم الخفي بالإنسان) تأليف: فيكتور بافلوفيتش شينوف، ترجمة: د. غسان محسن المتني، الصادر ضمن «المشروع الوطني للترجمة» عن الهيئة العامة السورية للكتاب يتحدث عبر أبوابه الأربعة، وفصوله ثمانية عشر عن أساليب التأثير على الناس، والأساليب السيكولوجية للتحكّم الخفي، وتقنياته، ومخططه، وفي هذا يقول مؤلف الكتاب: «يحتوي التحكّم الخفي في طياته على مراحل عدة تبدأ بجمع المعلومات حول من يُطبّق عليه التأثير، ثم كشف أهداف التأثير، فالجاذبية، فالانتقال إلى إجبار من يقع عليه التأثير على العمل، لتنتهي هذه المراحل بفوز المبادر بالتأثير».. وفي أغلب الأحيان لا يكون التحكّم الخفي أمراً بالغ التعقيد هكذا، إذ يجري بشكل أكثر بساطة، ويتضمن جزءاً فقط من الكتل الموصوفة مسبقاً.. ويتابع مؤلف الكتاب كلامه في السياق ذاته: «ويمكن الإجبار الخفي على الفعل بطرق كثيرة منها: استخدام صفقات مناسبة - تحضير المعلومات المنقولة للمرسل إليه - وسائل الإقناع - الخدع النفسية والوسائل البلاغية».

ويتطرق هذا الكتاب أيضاً إلى الإجراءات الوقائية المستخدمة للحماية من التحكّم الخفي والتلاعب، وفنون التحكم الخفي في حياتنا، ويعرض المؤلف لكل ذلك عبر سوق أمثلة كثيرة على استخدام هذه الآلية وتطبيقها على العلاقات الإنسانية ككل، ويخلص إلى رسالة مفادها أن من يرغب الظفر بالكثير عليه الاعتماد على عقله وتفكيره، «إذ إن التسلل إلى عالم الخطر - كما يقول (مونتن) - يعني بدرجة ما التوقف عن الخوف منه».. وهكذا يكون المؤلف في هذا الكتاب قد قدم مادة كافية للاقتناع بمدى تغلغل التحكم الخفي، وتنوعه الأناني في حياتنا بعمق، أي (التلاعب)، داعياً القرّاء ممن وقع منهم ضحية للتلاعب إلى إيجاد الطرق الملموسة في الكتاب للدفاع عن أنفسهم، وآملاً من الآخرين الاطلاع عليه كي يفهموا معنى التحكم الخفي، وأشكاله، وأساليبه.

لوغاريتمية الحماية من التحكم الخفي

«إن رؤية المشكلة أصعب بكثير من إيجاد حلّ لها، فالرؤية تحتاج إلى الخيال، بينما يحتاج الحل إلى المهارة فقط».

انطلاقاً من هذه المقولة لـ (دجو بيرنال) يمكن القول إن التحكم الخفي بالإنسان لا يتطلب دائماً الحماية منه، إن كان لا يسبب ضرراً بالمتلقي، بيد أن الوقاية منه تظل واجبة، وعليه يمكن العمل وفقاً لنقاط عدة تندرج تحت نوعين من أنواع الحماية، وهما: الحماية المسبقة، والحماية المباشرة (فعالة وسلبية).

وعند الولوج إلى موضوعة الحماية المسبقة يمكن أن نستفيد من جملة إجراءات وقائية قد تساعدنا على الحماية من التحكم، ومنها: ألا نقدم كثيراً من المعلومات عن أنفسنا، فعلى سبيل المثال، هناك مثل إنكليزي يقول (بيتي هو قلعتي) وقد انطلق الإنكليز في صياغتهم هذا المثل من عادة درجوا على اتباعها وهي عدم الرغبة في دعوة الضيوف كثيراً إلى منازلهم، فالمنزل عندهم هو رمز الاستقلالية من جانب، ومصدر كبير للمعلومات الشخصية من جانب آخر.. كما أن الحفاظ على الحدود والمسافات، والتزام المعايير الأخلاقية، والتواضع والحزم، وعدم التنبؤ يعتبرون من أبرز الإجراءات الوقائية في الحماية؛ فشكسبير الكاتب المسرحي الكبير، والعالم النفسي العظيم استعمل كثيراً من التلاعبات في أعماله، ومن ذلك مسرحيته (هاملت) التي وصم فيها بطله «هملت» بالجنون حماية له من التلاعب، ودرءاً له من أن يكشف.

أما الحماية المباشرة فتأتي على شكلين، يتجسد الأول منهما في الحماية السلبية التي تأتي في تأخير ردود الفعل العفوية عند المتلقي مما يثبط وتيرة الهجوم، فيجبر المتلاعب إما على كشف خططه، أو التخلي عنها، ومن ذلك ما كان من عادة الناشط السياسي، ورئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو الذي لم يقل كلمة «لا» أبداً، فإن تقدموا إليه باقتراح لم يعجبه صَمَتَ فقط، لتكون النتيجة في هذه المبارزة النفسية واحدة دائماً، وهي تراجع الجليس دون الحصول على مراده.. في حين يُطلق على الشكل الثاني من الحماية المباشرة اسم الحماية الفعالة، هذا الشكل الذي يُطبق فقط حين لا يكون موضوع التلاعب مرتبطاً (خدماتياً ومادياً) بالمتلاعب به، لأن المتلاعب سيرد، فوراً أو لاحقاً، بجين للنزاع أشد قوة، مما سيؤدي في النهاية إلى نزاع مفتوح يصبح فيه المتلاعب به غير مهتم على الإطلاق؛ وعليه فإذا كانت الحماية السلبية تعني «إيقاف المعتدي»، فإن الحماية الفعالة تقوم بفضحه وتوجيه ضربة جوابية له.

وفي الختام يمكن القول: «إن الإنسان لم يعطَ العقل كي يرى، بل كي يتوقع، فالمعرفة تبرر نفسها إذا ساعدت بالإدراك»، وعليه فإن إدراك النفوس البشرية، والظروف المحيطة بها، وما يعتمل في خفاياها من أطوار قد يجنبنا كثيراً من الصدمات، ويساعدنا في توقع غير المتوقع.

وتر الكلام

ربح وخسرت

سعاد زاهر

اتكأت على حافة الأريكة دون أن تنتبه إلى لونها، توزع أوراق اللعب أربع أوراق له، ومثلها لها..

مجرد لعبة بسيطة تشبه تعارفهما السريع، البسيط.

كلما جاء دورها في توزيع الأوراق تتأمل جمالية خلفية الأوراق و ألوانها الحيوية على أرضية ذهبية.

تتالت خسارتها، بينما تلعب كان ذهنها يدور في مختلف الأمكنة التي مرت بها قبل الوصول إلى هنا، كيف تمكنت أخيراً من انتزاع ذاتها من تلك الدائرة التي أحكمت قبضتها عليها أبداً، لاهي قادرة على التأقلم معها، ولا الخروج منها..

لم تتوقع يوماً أن تكون أفضل بلد حالاً من هذه اللحظة، الأوراق في يدها، وذهنها ينتقل بين مختلف الأمكنة، التي تمكنت أخيراً من مغادرتها، رغم ارتياحها إلا أن الحزن لم يفارقها ولم تنتبه إلى غيابها عن لحظتها تلك الى أن تتالت خسارتها حينها استفاقت من شرودها.

لم يرق لها أن يهزمها الشاب الذي استهانت بقدرته ركزت قليلاً في اللعبة، وهي ترمي الأوراق بعد خسارة كاملة، فوجئت بأنها ربحت بسهولة، هل تنازل عن ربحه لأجلها؟!

فرحت كأنها صنعت معجزة صغيرة، في بلد غريب، جميل، حينها نظرت بطريقة طفولية للمرة الأولى، انتبهت إلى جمال وجهه وبراءة روحه، ولم تتمكن من تنفيذ وعدها بالحكم عليه إن ربحت.

نسيت تماماً ماعليها فعله!!.

هناك شيء مختلف تعيشه للمرة الأولى، لاعلاقة له بأي أحاسيس، نحن القادمين من بلاد أنهكتها الحرب، نتحلى بجمود غريب، كأننا أجساد من شمع في ليالينا الأولى، سريعة الذوبان في ليال متتالية..

وهي في طريق عودتها..أسعدها جداً، أن اللعبة انتهت دون أن تحكم عليه، ودون أن تذوب كقطعة شمع ركنها أحدهم علها تنفع أحد أعياد الميلاد..

حين كانت الطفلة الصغيرة تطفئ الشموع استلقت برفق قرب المدفأة، ولم تشعر سوى أنها غادرت كل الأمكنة وهاهي معه في حيز بالكاد يتسع لشخصين، ترمي الورق ناسية كل الأحكام والشروط هذه المرة !.

تؤسس للوعي الإنساني وتصنع مستقبل الأمّة

فاتن أحمد دعبول

د. حسين جمعة

د. ابراهيم زعرور

لا شك أن المجتمعات ترتقي وتزدهر بقدر وعي أبنائها، وهذا يتناسب طرداً مع مسيرة تقدمها وتطورها، فكلما زادت نسبة الوعي عند أفراد المجتمع، انعكس ذلك على نمو المجتمعات وساهم في بناء الدول على أسس متينة.

ولا يختلف اثنان على أهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية في عملية بناء ووعي المجتمعات الإنسانية، فمن خلالها تؤسس كل دولة معايير علاقاتها داخلياً وخارجياً، إن كان لجهة العلاقات الاقتصادية أو السياسية أو الديبلوماسية، أو لجهة منهجية كل دولة في تعاملها مع مكونات الحياة جميعها، وهذه العلاقات على تنوعها يحددها وعي الإنسان المتشكل تجاه هذه الظواهر، والعلوم الإنسانية هي المسؤولة عن تشكيل الوعي الإنساني من خلال دراسة الظواهر الإنسانية من عادات وتقاليد وقيم مجتمعية عبر فنون الأدب وعلم الاجتماع والتاريخ وعلوم الفلسفة والحكمة.

فما هو دور العلوم الإنسانية في بناء الوعي وكيف يمكن استثمار هذه العلوم في عصرنا الراهن، وما أحوجنا إليها؟ سؤال توجهنا به إلى عدد من الباحثين للوقوف عند أهمية هذه العلوم ودورها في النهوض بالمجتمعات، فكانت هذه الإضاءات الجديرة بالبحث والتأمل.

د. حسين جمعة: أصل الوعي

كل من اطلع على الآداب والعلوم الإنسانية وتعمق في فلسفتها، وجد أنها هي الأصل في تكوين وعي الإنسان لوجوده ولذاته والكون الذي يحيط به، فمن منا ينكر أثر الفلسفة التي جسدت دائماً الرؤية الفكرية لفهم الوجود، ومن منا ينكر قيمة علم الاجتماع في تفسير حياة السكان وبناء العمران منذ أن أوجده ابن خلدون في مقدمته الشهيرة والتي ماتزال تشكل مرجعية حتى يومنا هذا.

ومن ذا الذي يمكن أن ينكر قراءة الملاحم اليونانية" الإلياذة والأوديسة" التي ضمت هذه الملاحم لنفهم حقيقة التفكير الإنساني لدى اليونان القديم، ومن ذا الذي ينكر على الهنود حكمتهم وفلسفتهم التي كانت أصلاً من أصول التفكير البشري للتطلع إلى حقيقة الوجود وفهمه.

ومن ذا الذي ينكر علينا نحن العرب ما أنتجه العقل القديم من إبداع شعري فني راق أصله اللغة والصورة، واللغة هي وعاء التفكير والمشاعر، ومن ثمة أصبح هذا الشعر الذي يقابل العلم في المفهوم الفني، أصبح ديوان العرب الذي يتحدث عن أيامهم وأنسابهم وأخبارهم وأحسابهم والأيام التي كانت لهم.

الشعر كان هو التاريخ والجغرافية وعلم الاجتماع وفلسفة حياة، ومن ذا الذي ينكر على الآداب الحديثة ما ساد فيها من قصص وروايات تتحدث عن حياة المجتمعات وعاداتها وقيمها من خلال تشخيص هذه الحياة وواقعها بأسلوب فني راق تسميه القصة والرواية والمسرحية والسيرة وغير ذلك.

الشعر فلسفة حياة

إذا العلوم الإنسانية المتعددة والمتنوعة" تاريخاً، وعلم اجتماع وفلسفة وأدباً" كل ذلك يؤصل وعي الإنسان ويطوره تبعاً لمواكبة التحولات الفكرية والنفسية التي تشتمل عليها العلوم والآداب الإنسانية، ويكفي فقط أن نشير إلى أن الأدب العربي مثّل الشخصية العربية بعاداتها وتقاليدها وأفكارها في كل عصر من العصور.

فالأدب الجاهلي صورة لأهله في الجاهلية، منه نأخذ طبيعة حياتهم كما عبر عن ذلك الكتّاب والمؤلفون أمثال أحمد الحوفي في كتابه" الحياة العربية من الشعر الجاهلي" أو الدكتور المرحوم علي الجندي في كتابه" الحرب من الشعر الجاهلي".

وفي العصر الإسلامي وجدنا الأدب يمثل قيم الدعوة الإسلامية وقيم الحياة الجديدة بأسلوب أدبي راق، تناوله الشعراء كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم من شعراء الدعوة.

وتناول الأدباء والكتّاب والباحثون ذلك في كتب عديدة، وكان هذا الأدب الإسلامي يعبر عن حياة أهله، وهي حياة اختلفت عما كانت عليه في الجاهلية، وهذا ما يمكن أن نقوله أيضاً عن الأدب الأموي والعباسي وحتى في عصرنا الراهن.

الأدب اليوم صورة عما نؤمن به من أفكار، ويبني وعينا للماضي والحاضر، ويؤسس لوعي جديد مستقبلي على صعد شتى، ومن هنا نجد مثلا أن الشعر آخر ما تفتقت عنه الذهنية العربية الإبداعية هو" النثيرة" وهي تختلف عن شعر التفعيلة والشعر العمودي المعروف، وهي تبني وعي الإنسان وعياً جديداً وفق ما كونته مواكبة الحياة ومواكبة الحداثة وما بعد الحداثة.

صانعة حياة

إذاً نحن نستفيد مما أشرنا إليه أن الأدب خاصة والعلوم الإنسانية من علم التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع، هذه العلوم جميعها هي التي تؤسس دائماً وأبداً لأفكار صانعة للحياة، وهي التي تصنع أقدار الأمة.

د. إبراهيم زعرور: العرب رافعة حقيقية للحضارة الإنسانية

من الصعب بل من المستحيل أن يستطيع الدارس أو الباحث أو من في حكمهما أن يستطيع ببعض كلمات وجمل ومفردات ومصطلحات، الإحاطة الشاملة والدقيقة بدور العلوم الإنسانية في بناء الوعي، وبالتالي لابد من الإشارة وبشكل موجز لطبيعة الحياة الإنسانية والتوجهات الفكرية والثقافية للشعوب وحضاراتها وتاريخها وخصائصها وفق المعطيات عبر التاريخ الطويل للبشرية.

فهناك من المفكرين والباحثين المنتمين إلى الغرب وأميركا من يذهب للقول بصراع الحضارات أمثال هنغتون، ومن من يقول بنهاية التاريخ وغير ذلك، وهناك من المفكرين والفلاسفة والمؤخرين والباحثين والدارسين من يقول بحوار الحضارات، بمعنى لا يمكن لأي حضارة إلغاء الحضارة الأخرى لأي شعب من الشعوب، ولابد من التكامل الحضاري الإنساني والاعتراف بفضل كل شعب من الشعوب بتقديم منتج حضاري وهو ذو صفة إنسانية، حيث قدم العرب الأبجدية الأولى" أوغاريت" والحرف الأول والنقش الأول والنوتة الموسيقية الأولى والقانون الأول" حمورابي" والعمارة الأولى، وكانت متاحة لكل الشعوب، وتتكامل مع حضارة اليونان والرومان وفارس وسواها من حضارة الصين والهند واليابان ومن في حكمهما.

وهنا يظهر لنا بوضوح دور العرب الحضاري في صدر الإسلام، والذي شكل رافعة حقيقية للحضارة الإنسانية، فالعرب الذين تواصلوا حضارياً في صدر الإسلام، حيث كان العلماء والمبدعون والمفكرون والفلاسفة العرب من أمثال" ابن رشد، ابن النفيس، أبو بكر الرازي، الفارابي، أبو العلاء المعري، ابن خلدون والزهراوي وابن الهيثم وابن زهر وسواهم الكثير من العلماء الذين شكلوا النهضة الحضارية الإنسانية والتي انتقلت إلى أوروبا، عبر التأثير المباشر أو غير المباشر بالترجمة والمدارس العلمية الفكرية، من خلال وجود العرب في الأندلس وشبه الجزيرة الإيبيرية، والتي شكلت البنية التحتية لنهضة أوروبا في القرن الخامس عشر، وبالتأكيد أفاد علماء الغرب وأضافوا الكثير من النظريات المعرفية والإبداعات الفكرية والعلوم التطبيقية.

حجر الأساس

وهكذا تأثرت الحضارات ببعضها البعض، وأفادت من بعضها ليتكامل المشهد الحضاري الإنساني، ويقدم كل ما هو مفيد للإنسان في كل مكان وزمان، ولعل هذا التمهيد الضروري للتنويه عن الحوار الحضاري لخدمة الإنسانية هو الأساس في التطور الحضاري الذي شهدناه ما بعد نهضة أوروبا، وإن كانت ثمة توظيفات ليست ذات طبيعة إنسانية كظهور الاستعمار وأساليب الهيمنة والسيطرة ونهب ثروات وموارد الشعوب ومصادرة إراداتها، وهو ما شكل التاريخ الأسود للدول الأوروبية الاستعمارية والعثماني وسواهما.

ولم يتم هذا التوظيف لصالح الشعوب في قارات العالم المختلفة، ولعل العلوم الإنسانية المرتبطة بالفكر والفلسفة والنظريات الإبداعية في السياسة وعلم الاجتماع والفنون على تنوعها وتعددها، هي حجر الأساس في بناء الوعي الإنساني على أهمية العلوم التطبيقية التي جاءت لاحقة للعلوم الإنسانية، والانتقال إلى عالم التقنيات العلمية وثورة المعلومات والعالم الإليكتروني بكل أبعاده والصناعات الكبيرة والتطور العمراني والبنى التحتية والتي عادت لتشكل مشكلات إنسانية لهيمنة بعض الدول في مقدمتها الغرب وأميركا على الشعوب الفقيرة في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية، وهو ما يتعارض مع الطبيعة البشرية، حيث أنتجت هذه الأفكار وسواها من الممارسات غير الأخلاقية لزرع التخلف والتجزئة والانقسامات التي انعكست سلباً على الشعوب آنفة الذكر، ولازالت قائمة إلى يومنا هذا.

التمسك بالهوية

وهذا يقودنا بالضرورة للحديث إلى أهمية العلوم الإنسانية في بناء الوعي، كالتربية والتعليم والمناهج والإعلام والخطاب الثقافي بعيداً عن الهيمنة الأميركية وأوروبا على مستقبل الشعوب، ويظهر جلياً وبوضوح مسؤولية العلوم الإنسانية ودورها بالكشف عن الكثير من الجوانب التاريخية في حياة الشعوب الفقيرة المستضعفة والمفكرين والمثقفين والعلماء الذين التزموا قضايا أوطانهم بوضع المناهج التربوية والتعليمية والثقافية في المؤسسات المعنية في المدارس والجامعات ومؤسسات الثقافة الوطنية لبناء الوعي لهذه الشعوب في التمسك بحضارتها وتاريخها وثقافتها وهويتها ذات الطابع الإنساني، وهو الحق الطبيعي لها في ذلك، والدفاع المشروع عن هذه الخصائص لتعزز حالة الوعي.

الإعلام في مواجهة الهيمنة العدوانية

ويقوم الإعلام بدور أساس في نقل الخطاب الثقافي الفكري لمواجهة قوى الهيمنة والتسلط وفرض الإرادة على هذه الشعوب، وهي توظيف أخلاقي ومشروع لمن يمتلك هذه العلوم الإنسانية بكل مفرداتها السياسية والاجتماعية والتربوية، تعزيزاً لوجود المجتمع المتكامل، وطبيعي جداً أن تذهب هذه الأفكار لخدمة الشعوب، وليس لتطويعها لخدمة الآخر وتوجهاته تحت عناوين ومسميات وذرائع، بهذا المعنى يمكننا القول إن الأديان والمذاهب والطوائف والمعتقدات والأيديولوجيات والأحزاب والأفكار وغيرها، يجب أن تكون في خدمة الأوطان والشعوب، وليس بالعكس، بمعنى آخر، لا يجوز أن تستجيب العلوم الإنسانية لإرادة الآخرين الذين يحاولون الهيمنة والسيطرة والنهب لموارد وثروات الشعوب، وتزوير وتزييف الحضارات والتاريخ، وثقافة الشعوب التي تتمسك بأفكارها وعلومها وإبداعاتها، سواء كانت العلوم النظرية والتطبيقية، وهذا شأن مرتبط بوعي هذه الشعوب وأدواتها لرفض كل أشكال الهيمنة وإلغاء دورها الحضاري والتاريخي والإنساني، ومن يملك الوعي الحقيقي يستطيع النهوض بأمته ووطنه ومجتمعه، والصراع اليوم صراع إرادات كما كان بالأمس البعيد والقريب.

العلوم الإنسانية.. إطلالة على المصطلح والمفهوم

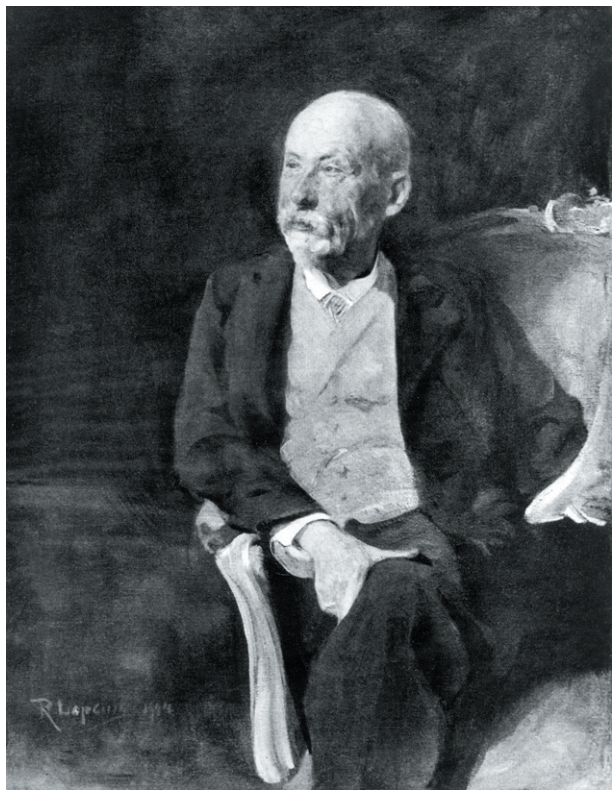

متخطياً التسميات القديمة صاغ الفيلسوف والمنظر الاجتماعي الألماني فيلهلم دلتاي عام ١٨٨٧ مصطلح «العلوم الإنسانية» متجاوزاً بذلك ضيق المسميات القديمة مقارنة بمواضيعها المتعددة والمتشعبة...

والعلوم الإنسانية كانت تعرف قديماً بالعلوم المعنوية في إشارة إلى عقلانية الإنسان، أي قدرته على التفكير وصناعة الاتجاهات والمبادئ والسلوكيات والتصرف بناء على ما تنتجه العقلانية للوصول إلى ما يسعى إليه..

وهي تعود تاريخياً، للقرن الخامس وإلى المدرسة اليونانية القديمة في القرن الخامس قبل الميلاد حيث كانت بمثابة «دورات تعليمية أطلقها مجموعة من السلاطين في ذلك الوقت والتي من خلالها يتم إعداد الشباب للمواطنة فيما كان يسمى دولة المدينة، وكان يطلق على الإنسانيات الطبيعة البشرية»...

ويمكن الإشارة إلى اتساع مفهوم هذا المصطلح وتعدد مهامه فهي تعرف «بأنها تعنى بوصف وتوثيق التجربة الإنسانية من جميع جوانبها في مختلف العصور، بما في ذلك العلاقات بين الأفراد وأساليب التعبير والتواصل.. وتدرس التاريخ الإنساني والعلاقات التي كانت قائمة بين الإنسان والبيئة من حوله وبين الإنسان المعاصر في بيئته الحديثة من وسائل تعبير وتواصل مختلفة «..

ويكمن جانب كبير من أهمية العلوم الإنسانية بأنها «تلقي الإنسان في عمق الإنسان بحيث يكون قادراً على فهم الطبيعة الإنسانية لفئة محددة من الناس من خلال محيطها وموروثها الديني والثقافي والاجتماعي، ومن خلال البحث في تاريخ الشعوب وإعطاء لمحة لبعض المعتقدات»..

وهناك مجموعة من العلوم التي تتشكل منها مجتمعة ما يطلق عليه العلوم الإنسانية «علوم اللغات والدين والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والموسيقا وعلم الأنثروبولوجيا والعلوم السياسية»..

أهمية العلوم الإنسانية

قد تتعدد صياغة العناصر التي يركز عليها الباحثون لتحديد أهمية العلوم الإنسانية لكنها تصب، في العموم، بإناء عام يرسم تلك الحدود ويمكن الوقوف عليها من خلال المرتكزات التالية:

تكوين رؤية تجاه العالم وذلك من خلال تكوين آراء نقدية وفكر مبدع والتعرف على الطريقة المثلى لاستخدام العقل.

محاولة فهم العالم بحيث ندرك ونفهم العالم ماضياً وحاضراً من أجل تخيل شكل ما للمستقبل.

إثراء الفكر من خلال توسيع مدارك الإنسان وإثرائه بالمعرفة الشاملة بحيث يكون أكثر قدرة على التفكير والتحليل وإعطاء الرأي..

توضيح المستقبل عبر توظيف الثقافة الواسعة التي توفرها العلوم الإنسانية حيث من الممكن رسم ملامح لمستقبل ما..

تفسير السلوك الإنساني من خلال مناقشة سلوكيات الإنسان وتفسير ما يصدر عنه من تلك السلوكيات.

إيجاد حلول لمشكلات الفرد التي تتشكل داخل الذات الإنسانية وبين الفرد والآخرين.

ويرى المفكر جون هورجان أن العلوم الإنسانية «تحافظ على الدولة من خلال كونها مصدراً للقوة المدنية والذاكرة الوطنية والتفاهم الثقافي والقيمة الفردية والمثل التي نتشاركها جميعاً»..

ومن الضروري قبل مغادرة هذه السطور، التي سعت لتقديم لمحة سريعة ومبسطة لمصطلح وأهمية العلوم الإنسانية، من الضروري التذكير بأن كلمة «العلم» تشير في الأصل إلى: مجموعة منظمة من المعارف، وبهذا التفسير فالفلسفة والعلوم الإنسانية تعتبر من فروع العلم حيث إنها مجموعة منظمة من المعارف والخبرات والنظريات..

زاوية حادة..

الإنسانيات

غسان شمه

إذا كان الإنسان هو الجرم الأصغر الذي انضوى فيه العالم الأكبر، فمما لا شك فيه أن بنيته النفسية والعقلية تنطوي على شيء كثير من التركيب والتفاعل وحتى الغموض والمشكلات ما يجعله مادة شديدة الثراء للعلوم الإنسانية التي سعت لفهم الكثير من الظواهر الفردية والجماعية من خلال دراسة النمط الإنساني في تجليات أفعاله ماضياً وحاضراً، وكذلك محاولة فهم ردود أفعاله تجاه قضايا شخصية أو عامة ومع غيره من الأفراد داخل مجتمعه..

ولا تتوقف مهام العلوم الإنسانية عند هذه الحدود بل تتجاوزها لتسلط الضوء على المستقبل ببعديه الفردي والجماعي باعتبار العلاقة بين الأفراد والمجتمع تشكل خطوة أساسية تجاه المستقبل الذي يرنو إليه الجميع، لذلك فإن هذه العلوم ترسم الخريطة، بتفاصيلها الكثيرة والمتنوعة، لتحديد ملامح هذا المستقبل والمضي نحوه عبر علاقات سليمة وصحية على مستوى علاقة الفرد بذاته، من خلال حل مشكلاته، وعلى مستوى علاقة الفرد بمجتمعه من خلال رسم المفردات العامة التي تنظم علاقات الأفراد الذين تجمعهم ثقافة ورؤى ذات ملامح عامة ضمن المجتمع..

ولعل الدور الكبير الذي تقوم به العلوم الإنسانية، من خلال إثراء فكر الفرد وتوسيع مداركه، والإسهام في حل المشكلات للفرد وفي تملكه لآراء نقدية تساعد في فهمه للعالم وتكوين رؤية تجاه هذا العالم، وتالياً محاولة توضيح ملامح صورة المستقبل الذي يطمح إليه الفرد داخل المجتمع وبالاتساق مع رؤية عامة وجامعة ذلك أن تلك العلوم تشكل«مصراً للذاكرة الوطنية والتفاهم الثقافي والمثل التي يتشاركها الأفراد».. ليبقى الإنسان الجرم الأصغر الذي انضوى فيه العالم الأكبر..

الكلمة!

غسان كامل ونوس

يا للكلمة
تقال أو تكتب، تُحبس أو تُضمر؛
تُسمع أو تُقرأ، تشير أو توحي؛
تُحفظ أو تُنسى، تثبت أو تدور؛
تحبو أو تدبّ، تسير أو تطير؛
تلذّ أو تغزّ، تُعزّ أو تُذلّ؛
تسلس أو تعند، تستسلم أو تبادر، تطيع أو تتمرّد،
تقيم أو تقوم، تحطّ أو تحوم، تبني أو تهدم، تخلُد أو تفنى؛
توضح أو تشوّش، تشرح أو تخفي، تُسرّ أو تُجهر؛
تقرّب أو تبعّد، ترحّب أو تطرد، تهتمّ أو تهمل؛
تُفرد أو تُجمل، تُهدّئ أو تُغضب، تُصلح أو تفتن؛
تقتل أو تنجي، تحكم أو تصفح، تطري أو توبّخ؛
تفضي أو تصمت، تروي أو تُظمئ، تفيض أو تشحّ...

إنّها الكلمة
حارّة أو وباردة، حسّاسة أو بليدة، يقظة أو غافلة، ضروريّة أو نافلة؛
نادرة أو وافرة، مكشوفة أو خبيئة، خفيفة أو ثقيلة، مشرقة أو ملبّدة؛
رطبة أو جافّة، خصيبة أو جديبة، مثمرة أو عاقر؛
كريمة أو بخيلة، غنيّة أو فقيرة، شافية أو جارحة؛
جديدة أو قديمة؛ أليفة أو غريبة، مبشّرة أو مقنطة؛
صلبة أو ليّنة، خشنة أو ناعمة، مفيدة أو ضارّة؛
عميقة أو سطحيّة، قريبة أو بعيدة، مكتسية أو عارية؛
نقيّة أو عكرة، زاهية أو قاحلة، مؤيّدة أو معارضة؛
صديقة أو عدوّة، وافية أو قاصرة، وفيّة أو غادرة؛
جاذبة أو نابذة، سائلة أو جامدة، عاذرة أو حاقدة؛
دانية أو نائية، قادمة أو راجعة، صاعدة أو ساقطة؛
جميلة أو قبيحة، راضية أو غاضبة، شاكرة أو ناكرة؛
حامدة أو كافرة، نديّة أو شقيّة، محبّبة أو منفّرة؛
عزيزة أو دنيئة، رافعة أو خافضة، سامية أو منحطّة؛
حاملة أو محمولة، محمودة أو مرذولة، رشيقة أو متثاقلة؛
محدودة أو مترامية، شهيدة أو قاتلة، نبيلة أو لئيمة؛
حاضنة أو طاردة، دائمة أو عارضة، حادّة أو مثلّمة؛
مُواجِهة أو مُجانِبة، معبّرة أو غامضة، شجاعة أو جبانة؛
حاضِرة أو غائبة، سعيدة أو بائسة، أمينة أو خائنة؛
محظوظة أو منكوبة، مشرعة أو مسدلة، محصّنة أو مهملة؛
ضاحكة أو باكية، ممتنّة أو شاكية، عصيّة أو مستباحة؛
صادقة أو منافقة، حاضرة أو غائبة، ضالّة أو هادية؛
رشيدة أو حمقاء، راهنة أو مرجأة، ظالمة أو عادلة
محفّزة أو مثبّطة، قيّمة أو مهملة، فتيّة أو عتيّة؛
عاصفة أو عليلة، نبيلة أو خبيثة، حيّة أو ميّتة...

هي الكلمة
إيمان أو كفر، عقيدة أو ادّعاء، نسغ أو قشرة؛
وئام أو نفور، حبور أو كآبة، صلابة أو هشاشة؛
رصاصة أو عطر، بلسم أو علقم، عطاء أو نهب؛
كيفٌ أو كبت، ماض أو آت، كثرة أو فتات؛
جمرة أو رماد؛ نور أو دخان، ضوء أو ظلام؛
سعة أو ضيق، اتّساق أو تنافر، زهرة أو زناد؛
نضوج أو فجاجة، حركة أو قيد، زغرودة أو أنّة؛
فضاء أو حصار، مدى أو إطار، سبيل أو عائق؛
طواف أو دُوار، حنان أو هجر، حيويّة أو سُبات؛
مآب أو رحيل، ثواب أو جزاء، مقاومة أو استسلام...

...الكلمة
واقع أو خيال، نعمة أو نقمة، اتّصال أو انفصال؛
تفاؤل أو تشاؤم، تقارب أو تباعد، تسارع أو تباطؤ؛
تحضّر أو تخلّف، تقدّم أو تأخّر، تناغم أو توتّر؛
إقبال أو إدبار، إيثار أو أنانيّة، تفرّد أو تجمّع؛
مغفرة أو عقوبة، شباب أو كهولة، أمان أو خطورة؛
مهنة أو هواية، خبرة أو غواية، بداية أو نهاية؛
غاية أو فرض، كرامة أو ذلّ، عزّة أو مهانة؛
عناية أو إهمال، معرفة أو جهل، تأمّل أو شرود،
طاقة أو فراغ، اندفاع أو نكوص، تحدّ أو تردّد؛
نداء أو حداء، فداء أو انتقام، صوت أو صدى؛
شموخ أو طأطأة، حمحمة أو حشرجة، كيان أو سراب؛
سحابة أو نفثة، رسالة أو جواب، انعقاد أو انفضاض؛
عمر أو ذكرى، علاء أو سقوط، حمل أو عقم؛
فوق أو تحت، أمام أو وراء، سيادة أو تبعيّة؛
قصد أو عفويّة، أصالة وهجانة، حدّ وغمد؛
طزاجة أو عفن، يناعة أو ذبول، حماسة أو خمول؛
فصاحة أو جعجعة، نظم أو فرط، سبك أو انحلال؛
هدير أو فحيح، ثقة أو ارتياب، احترام أو ازدراء؛
قبض أو إفراج، ترتيب أو فوضى، نشوة أو انقباض؛
قناعة أو رياء، مبادرة أو مَهمّة، مرجعيّة أو كناية؛
حِلم أو غضب، استلهام أو انبتات، استقامة أو اعوجاج؛
تعلّم أو فطرة، تكسّب أو منحة، تفكّر أو تهويم؛
اقتحام أو انهزام، عَلم أو قبر، وطن أو هذيان...

فالكلمة
أنت وأنا
هو وهي
زمان ومكان وسمت
لفظ ومبنى ومعنى
كينونة وكون وكائن
كيان وشخصيّة وموقف
حالة وشعور وظَرف
قوام وقَوَامة وقيامة
مسؤوليّة وخاتَم وعِقد
حياة أو موات أو موت
في البدء كانت وكنّا
وفي الختام تكون، وقد لا نكون!

×××

حبر أخضر

سورية قلب العالم

ناظم مهنا

يقول الشاعر الأيرلندي وليم بطلر ييتس: «الأشياء تتفكّك، والمركز لا يصمد، والخيّرون يفتقدون إلى أي يقين، بينما الأسوأ ممتلئون بتوتر محموم...».

ماذا بعد كل هذه الفوضى الجحيمية، هذا التيه وانعدام اليقين؟! وبما أن العالم يمضي بجنون نحو الفوضى والتوحّش، وفقدان الفاعلية والإرادة الخيرة، وبعد أن وصلنا إلى الجدار، يخيل لي أنه لا بد من مخرج، لا بد من أفق نطلّ عليه أو يطلّ علينا. بعد كل ما جرى، لا بدّ من الاستناد إلى ثقافتنا التي تشكل ملاذاً وعزاءً، وهي التي تجعلنا نتلمس في هذه الظلمة الدامسة أملاً في أن لنا أقداماً راسخة، مهما اهتزت وماجت تحتنا الأرض، وأننا قادرون على الحلم بالعودة إلى الاستقرار والهناء، وهذه مهمة الثقافة دوماً أن تنشر الأمل وليس اليأس والعدمية، فلتكن عودة إلى الذاكرة والحلم بحجرات آمنة، بمنازل بيضاء تطل نوافذها على الكون، إلى حضن أكثر حنواً نؤوب إليه سعداء مثل الأطفال!

بعد كل ما جرى، لا بد من وصولٍ ما؛ فليصل المجنون إلى مصحة، وليصل العاقل إلى عقله، وليصل الميت إلى مقبرة، وليصل الصياد إلى البراري والشطآن، وليصل الفلاح إلى الحقل، وكلٌ إلى مبتغاه... لا بدّ أن يستقر الناس على شيء: التائهون، المنفيون، الضالون، والأخيار والأشرار، بمعنى آخر لابدّ من خروج من هذا الأتون.

وإذا كانت الأساطير القديمة تتحدث عن (ميثا) التيه والخروج، فإن واحدة من الحقائق الـ: مافوق مثيولوجية، هي الوصول، لا بد من العودة إلى المنزل، مع التأكيد هنا على ما بعد حرفية الكلمات. هذه العودة، بما أنها ارتداد ورجوع وارتكاس، والعودة مناقضة لمنطق (التقدم) المعاصر الذي شكل وسواساً قهرياً مسلطاً على الإنسان الحديث، فكلمة الرجوع توحي، بما لايحمل اللبس، بالرجعية، ولا نريد أن نوصم بهذه الرذيلة، وليساعدنا الشعر هذه المرة في الخروج، ألم يصرخ ريتسوس؟ قائلاً: «أيها الشعر ساعدني على الخروج»، وها هو «أودن» يكتب في ظروف مشابهة قصيدته العظيمة «المجيء الثاني». إذن فليكن مجيئاً لا رجوعاً... لكن، إلى أين نجيء ونحن في مدار الثقافة التي هي انبثاق وتزامن، حضور وغياب... إلى (الكلاسيكية الجديدة) أقولها بألم معرفي تفرضه عليّ وقائع الحاضر وجدلية (الآن/ وهنا).

كلاسيكية جديدة، تبدو ملامحها تنبثق من قلب السلبية والعدمية والتشاؤم، كنقيض، العودة إلى الإشراقات، إلى مشروع رامبو الموعود، وقبله شعراء سورية الذين فتحوا الآفاق للعالم.

ما هذه الكلاسيكية الجديدة التي نرومها؟ إنها لا تتطابق تماماً مع الكلاسيكية الأولى، ولا تنعدم الأواصر بينهما، هذه الجديدة هي من صلب الأولى، ومن رحم الحداثة أيضاً، والحداثة كانت تواصلاً أكثر مما كانت دعوة الراديكاليين المتطرفة إلى القطيعة المعرفية.

المفكر الفرنسي هنري لوفيفر في كتابه «ما بعد الحداثة» تحدّث عن هذه العلاقة، ويرى أن الوعي الحديث يحتوي على عناصر من اليقين ومن اللايقين متساوية في حدتها، ومتفاوتة في نزقها أيضاً، يقول في هذا السياق: «يبدو الوعي اليوم كما لو كان صالة انتظار لمجيء الكلاسيكي... إن ما هو دائم في الجديد يصبح كلاسيكياً»، وفي الجملة الأخيرة يكمن بيت القصيد. ما الدائم في الجديد؟ لم يترك لوفيفر مكاناً للمزاودة التقدمية، بل على العكس، ثمة اتهام بالعجز هنا عن فهم معنى الحداثة حين تربط بجانب واحد راديكالي قائم على الرفض الدائم، يقول استكمالاً: «لنستعد، هنا، (ثيمة) سبق طرحها، ولنلج منها إلى المسيرة المدهشة للكتاب الروائيين والشعراء والمسرحيين المعاصرين، فهم يبدؤون عادة بالنقض، ولا يستطيعون أن يبدؤوا إلا بالنقض: المسرحية المضادة، الرواية المضادة، الشعر المضاد... ودون أن يعرفوا دورهم الحقيقي، ولا قانون نشاطهم الحقيقي، تراهم يتطوعون هكذا بإيصال الفن إلى تفككه، وهم يغذون السير في البدء نحو الوجهة التي تقود إلى إتلافه، مساهمين دون أن يعرفوا المسألة الجوهرية؛ (التجاوز) لكل من اليومي والفن...».

ويرى لوفيفر أن هذه السلبية لا تدوم لدى الكتّاب، فسرعان ما يأتي النجاح ومعه التقدم في السن، حينها يصبح الفنان إيجابياً وخلاقاً وحقيقياً، فيعزموا الأمر على كتابة مسرحيات وروايات وأشعار تفضي إلى قهر السلبي، وقد اهتدوا وانتصروا على المبدأ الشيطاني، وصاروا يرون بوضوح أكثر. في هذه النقلة، يغدو الكاتب وقد استعاد نفسه، وتعمق شعوره بالتوافق والالتقاء بالعالم. إنه مجيء إلى الجوهري فينا، الكلاسيكي الكامن في الأعماق.

على هذا النحو، يقول لوفيفر: «نرى حداثويتنا وهي تحوي، بتناقض مكشوف، ملمحين، يمكن وسمهما بأنهما غير قابلين للالتقاء، للوهلة الأولى: شغف مبالغ فيه بالحالية المتغيرة، وكلاسيكية جديدة».

إذن، فلتكن مجيئاً إلى الكلاسيكية العميقة، والتي لم تغادرنا طالما كنا نتعامل مع الثقافة والشعر... كلاسيكية جديدة شاملة كل مجالات الحياة: سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، تعيد للإنسان مكانته، وللمعنى حضوره، وتعيد التوازن والاتساق للعالم.

وأزعم بيقين ودون تردد أن الكلاسيكية الأولى انطلقت من هنا، من جغرافيتنا السورية، ونحن مركزها، ويكفي أن نستعرض أسماء الفلاسفة والشعراء والخطباء والسرديين ورجال القانون السوريين القدماء وهم بالعشرات، حتى ندرك هذا العمق الكلاسيكي الكوني الذي عبر عنه الشاعر السوري مليا غر في تأكيد أن السوري يعيش في قلب العالم، يقول:

«إن أنا سوري، ما العجب؟

أيُها الغريب؛ إننا نسكن بلداً واحداً هو العالم».

مليا غر من القرن الأول قبل الميلاد مع لونجينيو، ولوقيان من القرن الثاني الميلادي، ومعهم آخرون من شعراء وفلاسفة وخطباء ورجال قانون كثر، هم نواة الكلاسيكية السورية الأولى المنفتحة...

خلاصة القول: إن الكلاسيكية العميقة التي تمثلها سورية اليوم تتعرض لحرب ضارية من منظومة التفاهة الدولية بوصفها نقيضاً، وإذا ما استطعنا الخروج من هذه الحرب؛ يمكن للكلاسيكية الجديدة أن تنبثق من عندنا وتعمُّ العالم؛ وهكذا يكون الوصول أو المجيء الثاني، الذي حلم به الشعراء، وحلم به «أودن» وأحلم به أنا أيضاً.

محبة الشعب ـ عقد لابد منه

تأليف: دوستويفسكي - يوميات الكاتب: شباط ١٨٧٦

ترجمة: ثائر زين الدين

كنتُ للتو قد كتبتُ في عدد كانون الثاني من «دنيفينك»، إن شعبنا بعامته أميل لأن يكون فظّاً وجلفاً وجاهلاً، ومنقاداً للظلمةِ والفساد، بل بربرياً أيضاً...

ولم ألبث أن قرأتُ مقالةً في «براتسكوي بوموتشي»، «وهي مجموعة أو دوريّة، تصدر عن اللجنة السلافية لدعم المناضلين في سبيل حُريّة السلافيين» للكاتب الخالد الذكر، الذي أحبّه الروس جميعاً، المرحوم قسطنطين أكساكوف ، يمتدح فيها الشعب الروسي أنّه متنوّر منذُ غابر الأزمان، ومتعلّم ومثقّف ومهذّب في تعامُلِه...

ماذا إذن؟ هل أزعجني اختلافُ الرأي مع قسطنطين أكساكوف؟ إطلاقاً! فأنا أشاطره رأيه، وأحسُّ به، بل وأتحمّس له! ومع ذلك فثمّة تناقض... أو لنقل: اختلافٌ يمكن تفسيره عندما نتعلّم كيف نستنبط الجمال الساكن داخل كل إنسان روسي، ونستخرجه من إطار الهمجيّة الدخيلة عليه!.

عاش الشعبُ الرّوسي ظروفاً عسيرة عبر مراحل تاريخه كافة تقريباً، وكان هذا الشعب خلالها مفسداً ومستسلماً للفساد، ومضللاً ومعذّباً... ومع ذلك فقد عاشَ محافظاً على جمالِ شخصه فحسب، بل حفظ جمال أسلوبِه في الحياة والعيش... وكل صديقٍ صدوقٍ للإنسانيّة، أو كلّ من خفق قلبه ولو مرّة واحدة بمعاناة الشعوب يستطيع أن يتفهّم هذا الشعب، وأن يصفح عن هذه القذارة الداخلية المتكوّمة حوله، والمطبقة عليه، بل ويستطيع أن يستكشف معدنه الماسي وسط هذهِ القذارة!

أعيدُ: لا تحكموا على الشعب الروسي من خلال الرذائل التي غالباً ما يرتكبها، ولكن من خلال أفكارِه العظيمة التي يفكر بها دوماً، وهو في حمأة الرذيلة! وليس جميع الناس خاطئين... بالعكس... بين هؤلاء أشخاص مستنيرون، بل يضيئون الدرب لنا جميعاً... ولديّ يقينٌ أعمى أنه ليس من بين أفراد الشعب الروسي شخصٌ لئيمٌ أو سافل أو شرير إلا ويعلم أنه كذلك! في الوقت نفسه الذي لا يعترف فيه الآخرونَ بخطاياهم، بل يطرون عليها، ويشيدونَ بها، ويؤكدّون أنها الاستقامة بعينها... بل وأنها نور الحضارة!.

لا تحكموا على شعبنا من خلالِ ما هو عليهِ الآن، بل من خلال ما يتمنّى أن يكونَه! فمبادئُهُ قويّة ونيّرة... وهي التي أنقذتهُ في عصور العذاب، وهي التي نمت في روحه، ووهبتهُ النزاهة وصفاء القلب، وتفتّح العقل، وسعة الأفق...في تناغم جميلٍ وجذّاب، وإذا كان في هذا شيءٌ من الدناءة، فإن الإنسانَ أوّل من يحس بالغم والحسرة، ويؤمن بأنها وسوسة شيطان مؤقّتة.. وأن الظلام سوفَ ينقشع.. ويحل محلّه نورٌ خالد في وقتٍ ما!.

لن أسترسل في استذكار رموزنا الأدبية العليا عبر التاريخ، مثل سيرغييف ، وفيودسيف بتشيرسكي ، أو حتى تيخون زادونسكي ، وبالمناسبة نحن لا نعرف الكثير عن تيخون زادونسكي، ولعلّنالا نحاسب أنفسنا أصلاً لأننا لم نسعَ لقراءة هذه الرموز. صدقوني أيها السادة كنتم ستعرفون أشياء رائعة لو أنكم قرأتموها.

لا بأس أن أعود إلى روائع أدبنا الروسي... فهي مُستقاة من

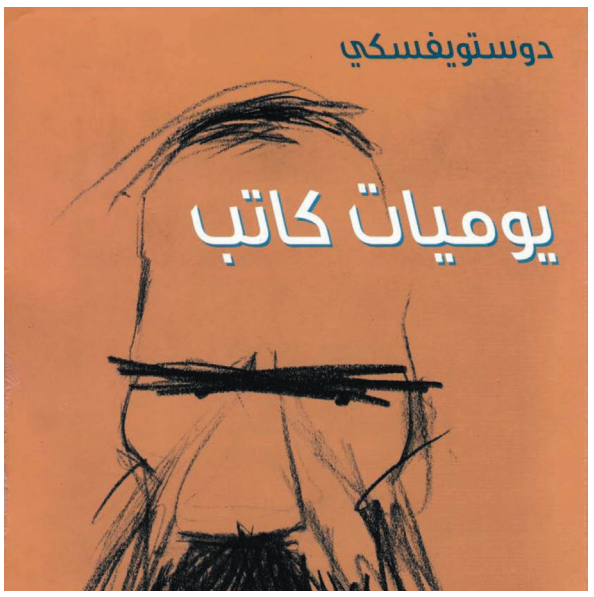

روح شعبنا ... ابتداءً من «بيلكين» الوديع البسيط الذي أبدعه «بوشكين»... وبوشكين منحنا أجمل ما لدينا من أدب..وتوجّهَ إلى شعبنا منذُ باكورة أعماله.. كان إنساناً استثنائيّاً... مُدهشاً، فاجأنا دوماً بمفرداتٍ وموضوعات فريدة تجعلنا نتساءل: هل هو معجزة؟ أم أنها العَظَمة الاستثنائيّة للعباقرة؟! لدرجة أننا ما زلنا عاجزين عن إيفائها حقّها الثمين حتى اليوم!!.

لن أُذكّر بنماذج الأبطال الشعبيين الذين ظهروا في زماننا... تذكّروا «أبلوموف» تذكّروا «عش النبلاء» لتورغينيف، تذكّروا غونتشاروف العظيم وتورغينيف الخالد عبر العصور... فقد تواصلوا جميعاً مع الشعب ولامسوا حياتَه فمنحتهم زخماً غير عادي، اقتبسوا من الشعب النقاوة والدماثة وجمال الروح وسعة العقل... وكل الصفات الجميلة التي وقفت بالمرصاد للجانب الآخر الدخيل المظلم والمستبد... لا تعجبوا كيفَ بدأتُ الحديث هكذا فجأةً عن الأدب الروسي، فالفضل يعودُ بالذات لهذا الأدب برمّته، بأفضل أعلامه، بطبقتنا المثقّفة التي انحنت أمام صدق هذا الشعب واعترَفت بعظمةِ رموزِه الشعبيّة، التي أجبرتْهُ أن يتخذها نماذجَ يحتذى حذوها، وأظن أنها أثّرت فيه بذوقها الفني الرفيع، أكثر من إرادتها الخيّرة.

يكفي! لعلّي أسهبتُ في الحديث عن الأدب، لكنني أردتُ الحديث عنه في معرضِ حديثي عن الشعب فحسب.

كيف نرى نحن الناس؟! كيف نفهم الشعب؟ هذا هو السؤال المهم في اللحظة الراهنة، وهذهِ هي المعضلة العملية، التي يكادُ يتلخّصُ وفقها سيرُ الأمور في المستقبل، فمفهوم الشعب أو «الناس» مازال حتى الآن مجرّد نظريّة! وما زلنا نتعامل مع الناس - نحن الذين نحبّهم - كما كنا نتعامل مع نظرية! ويتراءى لي أننا جميعاً لا نحب الناس كما هم في حقيقة الحال، وإنما كما يتصورهم كل منّا في مخيّلته!... والأدهى من ذلك أنّه لو ظهرَ شعبنا الروسي على صورة لا تتوافق مع ما يتصوّرُهُ كلٌ منا عنه فإننا جميعاً، وعلى الرغم من الحبّ الذي نكنّهُ لَهُ سوفَ نبتعدُ عنه دون أدنى أسف، والكلام هنا عن الجميع دون استثناء من أحد، حتى الموالين للنزعة السلافيّة، بل لعلّ الكلام يعنيهم أكثر من الآخرين.

وفيما يتعلّق بي شخصيّاً، فَسأُفردُ قناعتي بوضوح وأقول: لسنا رائعين أو مثاليين، إلى الحدّ الذي يجعلنا نضع من أنفسنا مثلاً أعلى للناس، فنطالبهم أن يكونوا مثلنا تماماً، ولا تعجبوا هنا من أن يُنظرَ للأمر من زاويةٍ محدودةٍ كهذه، إذ إنّهُ لم يوضع من قبلُ إلّا على هذه الصيغة: «من الأفضل: نحنُ أم الشعب؟!»أو «هل على الشعب أن يسير خلفَ رايتنا، أم علينا أن نسير خلفَ الشعب؟!» هذا ما يطرحُهُ الجميع الآن! فما هو جواب من يحملُ في رأسه ولو ذرّة من التفكير المنطقي، ومَن يُعنى حقاً في سريرتِه بالشأن العام؟! أنا أجيب بصدقٍ وصراحة: علينا نحنُ أن ننحني أمام هذا الشعب، ونأمَلَ منه كل خير شكلاً ومضموناً، نحنُ الذين علينا أن ننحني كالأطفال الشُطّار أمام صدق الناس وأن نعترف به كحقيقة، وألّا نساوم على شعبنا مقابل أي ثمن... فلا شيء يُعادل فرحة الالتحام بهؤلاء الناس، بكيانهم.. بتفكيرهم، بمساكنهم الرّوسيّة، التي بالكاد تستعيد رونقها وأصالتها لتكون لنا مأثرةً عظيمة، ولكن من ناحية أخرى: سوفَ ننحني أمامهم بشرطٍ واحد: أن يأخذوا منا الكثير مما نحملُهُ من أفكار، فنحنُ نستطيع أن نتلاشى تماماً أمام الشعب... وإذا لم يحصل هذا، فإننا سنموتُ كلينا، كلٌ على حدة.. ولكن الاحتمال الثاني: لن يحدثَ أبداً!.

يتقوّل الكثيرون: إنّ الحضارة تفسد الشعب، وإنّ السباق الطبيعي لتطوّر المجتمعات يجري هكذا دوماً، فبالتوازي مع تنوير المجتمعات ورفع سويّتها يبدأ الكذب والتزوير والبلبلة والعادات السيّئة، التي تتنامى من جيلٍ إلى جيل، ونصطَدم بها نحن، وأبناؤنا من بعدنا... لتصبح واقعاً مُرعباً أمامنا، ألا ترون الأمور هكذا؟! هل محكومٌ على شعبنا أن يتخطّى مرحلة جديدة من الفساد والكذب، كما كان شأننا مع مفرزات الحضارة؟! «أعتقد أنّ أحداً لن يجادل في أننا قد بدأنا حضارتنا بالذات من مظاهر الفساد!» كم أتمنّى لو أسمع ما يطمئنني بهذا الخصوص.

لست أشكُ بعظمة شعبنا التي تتحطّم أمامها تلقائيّاً كل التيارات العكرة، كائناً ما كان مصدَرُها، وعلى هذا الأساس تعالوا نسهم معاً، ونمدُّ أيدينا كلٌ حسب إمكاناتِه، ولو كانت صغيرة لكي ننجز الأمور دون أخطاء... ولديّ قناعة - في الحقيقة - بأننا نحن وحدنا الذين لا نملك أي شيء سوى «حُبّ الوطن»... وقد نتفق وقد نختلف لكننا، متفقون على أننا أشخاص لسنا بالسيئين... إذن مهما يكن الأمرُ... فسوفَ تستقرّ الأوضاع في النهاية.

أُعيدُ: مضت مئتا عام من الكسل والخمولِ والانحلالِ.. ختمنا بعدها «عصرنا الأدبي» بنتيجةٍ مفادها أننا لم نعد نَفهم بعضنا بعضاً، وبالطبع انا هنا أتحدّثُ عن الناس الجادين المخلصين -فهؤلاء يختلفونَ بالرأي ولا يوافقُ واحِدُهم الآخر، أمّا أولئك المضاربون والمنافقون فمعهم الأمرُ مختلف: إنهم دائماً يفهمونَ بعضاً...

شاعر وقصيدة

الوقت

هذه القصيدة كما قال الشاعر الكبير تعود إلى أكثر من نصف قرن ومع ذلك مازالت بهية ندية طرية ، تمثل فلسفة الحياة ، وما أشد حاجتنا إلى استعادة الكثير من عيون الشعرالعربي المعاصر في زمن التصحر.

حاضِنًا سُنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ:
ما الدّمُ الضّاربُ في الرّملِ وما هذا الأفولُ؟
قُلْ لَنا يا لَهَبَ الحاضرِ ماذا سنقولُ؟
مزّقُ التّاريخَ في حُنجَرَتي
وعلى وجهيَ أماراتُ الضّحيّهْ
ما أمَرّ اللّغةَ الآنَ وما أضيقَ بابَ الأبجديّهْ.
حاضناً سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ:
جُثَثٌ يقرؤُها القاتلُ كالطُرْفَةِ
أَهْراءُ عظام
رأسُ طفلٍ هَذه الكتله أم قطعةُ فَحْم؟
جسَدٌ هذا الذي أشهدُ أم هيكلُ طينٍ؟
أنحني أرتُقُ عينين وأرفو خاصره
ربّما يُسعفُني الظنُ ويَهديني ضياءُ الذّاكره
غيرَ أنّي عبثًا أَسْتقرىءُ الخيطَ النّحيلْ
عبثًا أجمعُ رأساً وذراعين وساقين لكيْ
أكتشفَ الشّخصَ القتيلْ
حاضنًا سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ:
كَشَفَ البهلولُ عن أسرارِهِ
أنّ هذا الزّمَنَ الثّائرَ دُكّانُ حِلّي
أنّه مُسْتَنْقَعٌ ...
كشفَ البهلولُ عن أَسْرارِهِ
سيكونُ الصّدقُ موتاً
ويكون الموتُ خُبْزَ الشّعراءْ
والذي سُمّي أو صارَ الوطَنْ
ليس إلاّ زمنًا يطفو على وجهِ الزّمَنْ.
حاضنًا سنبلةَ الوقت ورأسي برجُ نارٍ:
شَجرُ الحبّ بقصّابينَ آخى
شَجَرَ الموتِ ببيروتِ
وهذي
غابَةُ الآسِ تُؤَاسي
غابةَ النّفْيِ
كما تدخلُ قَصّابينُ في خارطةِ
العشْبِ وتَسْتَقْطِرُ أحشاءَ السّهولْ
دخلَتْ بيروتُ في خارطةِ الموتِ قبورٌ
كالبساتينِ وأشلاءٌ حقولْ
ما الذي يَسكبُ قصّابينَ في صيدا وفي صورِ
وبيروتُ التي تَنسكبُ؟
ما الذي في بُعده يقتربُ؟
ما الذي يمزجُ في خارطتي هذي الدّماءْ؟
يبسَ الصّيفُ ولم يأتِ الخريفْ
والرّبيعُ اسْوَدَ في ذاكرةِ الأرضِ الشّتاءْ
مثلما يرسمُه الموتُ: احتضارٌ أو نزيفْ
زمنٌ يخرجُ من قارورةِ الجَبْرِ ومن كفّ القضاءْ
زمنُ التّيه الذي يَرْتَجِلُ الوقتَ ويجترّ الهواءْ

كيفَ من أينَ لكم أن تعرفوهُ؟
قاتلٌ ليس له وجْهٌ له كلُّ الوجوهْ
حاضِنًا سنبلةَ الوقْتِ ورأسي برجُ نارٍ:
مُنْهَكٌ أَلْتفتُ الآنَ وأَسْتشرفُ ما تِلكَ الخِرَقْ؟
أتواريخُ؟ أبلدانٌ؟
أراياتٌ على جُرْفِ الغسَقْ؟
هُوذا أقْرأُ في اللّحظةِ أجيالاً وفي الجُثّةِ آلاف الجُثَثْ
هوذا يغمرُني لُجُّ العَبَثْ
جسدي يُفْلِتُ من سَيْطرتي
لم يعدْ وجهيَ في مرْآتِه
ودمي يَنْفُرُ من شَرْيانِهِ..
ألأنّي لا أرى الضّوءَ الذي يَنقلُ أحلامي إليهْ؟
ألأنّي طَرَفٌ أقْصى من الكونِ
الذي بارَكَهُ غيري
وجَدّفْتُ عليهْ؟
ما الذي يَجْتَثُّ أعماقي ويمضي
بين أدغالٍ من الرّغبة بلدانٍ محيطاتِ دموعٍ
وسلالاتِ رموزْ؟
بين أعْراقٍ وأجْناسِ عصورٍ وشعوبْ؟
ما الذي يَفصلُ عَن نفسيَ نَفْسي؟
مَا الذي يَنقضُني؟
أأنا مُفْتَرَقٌ
وطريقي لم تعدْ في لحظةِ الكشفِ طريقي؟
أأنا أكثرُ من شخصٍ
وتاريخيَ مَهْوايَ وميعادي حريقي؟
ما الذي يصعدُ في قَهْقَهَةٍ
تصعدُ من أعضائيَ المختنقهْ؟
أأنا أكثرُ من شَخْصٍ وكلُّ
يسألُ الآخرَ: مَن أنتَ؟ ومِن أينَ؟
أأعضائيَ غاباتُ قتالْ
في دمِ ريحٍ وجسمٍ وَرقَهْ؟
أجُنونٌ؟
مَنْ أنا في هذه الظُلمة؟
علّمْني وأرْشِدْنيَ
يا هذا الجنونْ
مَنْ أنا يا أصدقائي؟
أيّها الرّاؤون والمُسْتَضْعَفونْ
ليتَني أقدرُ أن أخرُجَ من جلديَ
لا أعرفُ مَنْ كنتُ
ولا مَن سأكونْ
إنّني أبحثُ عن إسْمٍ وعن شيءٍ أسمّيهِ
ولا شيءَ يُسمّى
زمنٌ أعمى وتاريخٌ مُعَمّى
زَمَنٌ طَمْيٌ وتاريخُ حُطامْ

والذي يملكُ مملوكٌ ...
حاضِنًا سنبلةَ الوقتِ ورأسي بُرْجُ نارٍ:
آخِرُ العَهْدِ الذي أمطَرَ سِجّيلاً يُلاقي
أوّلَ العهدِ الذي يُمطِرُ نفْطاً
وإلهُ النّخْلِ يجثو
لإلهٍ من حديدِ
وأنا بين ... الدّمُ المسفوحُ والقافلةُ المنكفئَهْ
أتَقَرّى ناريَ المنطفئة
وأرَى كيف أُداري
موتيَ الجامحَ في صحرائِه
وأقولُ الكونُ ما ينسجُهُ حُلْميَ تَنْحلُ الخيوطْ
وأرى نفسيَ في مَهْوى وأَسْترسل في ليلِ الهبوطْ
طُرقٌ تكذِبُ . شُطآنٌ تَخونُ
كيف لا يصعقُكَ الآنَ الجنونُ؟
هكذا أَنْتَبِذُ الآكِلَ والأكْلَ وأرتاحُ إلى كلّ مَتَاهْ
وعَزائي أنّني أُوغِلُ في حلميَ أَشْتَطُّ أموجْ
وأغنّي شهوةَ الرّفضِ وأهْذي
فَلَكُ الزُهرةِ خلخالٌ لأيامي والجَدْيُ سِوارٌ
وأقولُ الزّهرُ في تيجانِهِ شُرُفاتٌ
وعَزائي أنّني أخرجُ
أسْتَنْفِرُ أفْعال الخُروجْ.
هكذا أَبْتدئُ
حاضنًا أرضي وأسرارَ هَواها
جَسَدُ البحرِ لها حبٌّ له الشّمسُ يَدانْ
جَسَدٌ مُستودَعُ الرّعْدِ ومَرْساةُ الحنانْ
جسدٌ وَعْدٌ أنا الغائبُ فيهِ
وأنا الطّالعُ من هذا الرّهانْ
جَسَدٌ
غطّوا بضوءِ المطرِ العاشقِ وَجْهَ الأقحوانْ
وَلْيَكنْ...
أحتضِنُ العصرَ الذي يأتي وأَمْشي
جامِحًا. مِشْيةَ رُبّانٍ. وأختطُّ بِلادي
اصْعدوا فيها إلى أعلى ذُراها
اهْبطوا فيها إلى أَغْوارِها
لن ترَوْا خوفاً ولا قيداً . كأنّ الطّيرَ غُصْنٌ
وكأنّ الأرضَ طِفْلٌ . والأساطيرَ نِساءْ
حُلُمٌ؟
أُعطي لمن يأتون مِن بَعديَ أن يفتتحوا هذا الفضاءْ

أحبك يا شام

كمال سحيم

وكم ورّثت أحبابي أناشيدي
وقلت أحبّك يا شام
أحبّ زفرة العاشق
أحبّ نظرة الولهان
وكم يا شام
أضاء الليل بهجتنا
فبرعم شوقنا أفنان..
أنا يا شامُ واللهِ
تصابيتُ
وكنتُ خفيرَ أنفاسي
أذوبُ بمائك الريّان
وأشرب كاسك ثملاً
بريحة زهرك الغفيان..
أنا يا شام
مرجاج الندى الصحيان..

بحّارة

رنا بدري سلوم

أيَا شُعراءَ الجاهليةِ
شجونُكم أرواحٌ
تسكنُ في أخيلة قصائدكمْ
تغوي بالرّقصِ
على أوتارِ الصفحاتِ
×××
يا شعراءَ المنفى
عودوا
فأشعاركمْ أشرعةٌ
مرمَرتها الريحُ
وآهاتُكم تدوي
في قارعةِ السَفر
وطنُكم أقلامكُم
فلا تبيعوه !
×××
على أكتافِ البحورِ العتيقةِ
حملَ المدُّ
حقائبَ أسراركمْ
أعادها الجذرُ إلى الحكايةِ
يتبعثرُ الجمالُ هنا
على رمالِ نبني منها
بوتقةً للشعرِ
فيسرقُ الموجُ خلسةً
رشفةً من عطرِ
×××
أيا بحرُ
لم تجف دموعُكَ
مثلَ مآقينا وحبرنا
نغتابُكَ
وتفرُ أرواحنا إليكَ
من ثقلِ أسفارنا
وترجعُ أجسادُنا
رذاذاً من رمال
×××
أيا شعراءَ السلامْ
لا نزالُ نسفكُ الحبّ
بتنوعِ قوافينَا
فعلّمونَا
كيفَ نسلّمُ القلبَ
من دونِ
تأشيرةِ قبولٍ
×××
أيُها الغاوون
ألقينا أقلامَنا
المرميةَ على الوجعِ
واتّبعنا الصخبَ
فنامَ الهوى
ونسيَ صرخةَ ولادتهِ
×××
أيَا شعراءَ الحبّ
من تركوا أنفاسَهم مُعلّقةً
بتشكيلِ العباراتِ
ودوّنوا حنينَهم لعشقٍ يلفظُ
أنفاسَهُ
أنتم أحياءٌ
لا تُرزقون إلا تأوُهاتِنَا !
×××
أيَا أنا
ربّما عافتكِ بحورُ الشّعرِ
أنا الرحّالة التي
تضرّعت للعمرِ
أن يمضيَ
عابراً وعابداً
لربّتي
شعرٍ وحبْ

أنا بعض من أنا

د. سلمى جميل حداد

أعدني إلى اللحظة
إلى اللحظة التي أراكَ فيها شعاعاً
من يقين
مائدة تضرب موعداً لكعك العيد
حرفاً يبذر قمحه لأبجديات
الطمأنينة والسكون
أعدني إلى أنتَ
إلى ضحكة الهواء الطلق على
شفتي الشمس
إلى متعة الرجوع، الرجوع إلى
الخلف
إلى ملخص فصول العمر في كتب
اللقاء،
إلى نحن أعدني وانتصر على الأنا
والأنت.
أنا أنا...
وأنا بعضٌ من رشفةِ أنا،
غبارٌ يجلس على أشلاء طريقي
أكثف حضوراً مني،
منفى يعيد تكويني في أصيصٍ لا
قعر له
على تخومٍ أضيف إليها خطواتي،
موعدٌ يضربه الخيالُ لظلي
فيكسر ساقي عند عتبات الجموح،
فنجانُ قهوةٍ يجلس معي
وفيّاً لشفتيّ
لنبل غموضي
لتفرّد مزاجي
لصخب أعماقي
لأنا...
أنا أنا...
وأنا بعضٌ من خروجٍ من أنا.